إعداد **فاتن الحاج** للمشاركة في صفحة «تعليم» التواصل عبر البريد الإلكتروني: **felhajj@al-akhbar.com**

رأي

العربية لغة حياة

حسن علي شرارة *

إذا أردنا في بادئ الأمر أن نُحصي ما زرعناه من أسباب تهديم اللّغة العربيّة، لوجدنا أسباباً تقطع من أرضنا أشجار الفصاحة والبلاغة، منها أنّنا خلعنا أردية الحبّ للّغة الأمّ، كما نزعنا جلباب الفخر لأنّنا فقدنا المُنجزات، ولأنّنا أردنا أن نخبّئ شخصيّتنا بقبّعة أجنبيّة، ولأنّنا فقدنا الانتماء، وأضعنا التّجذّر، بتنا نعاني انفصاماً بين عملاق الماضي وقزم الحاضر.

وإذا أردنا أن نضع حلولاً، وإن كانت نظريّة، فلا مناصَ من العودة إلى عقلنا العربيّ بتفكير عربيّ، ومنجز عربيّ، وتسمية عربيّة، ومن دون أيّ عقد. ففي يوم اللّغة العربيّة العالميّ نطرح بعض الأسئلة:

ـ هل يكفي أن يكون لهذه اللّغة الماضي الثّقافيّ العريق الّذي كان لها لتكون حاضرة في الزّمن الرّاهن؟

ـ هل يكفي أن تكون اللّغة العربيّة واحدة من اللّغات الرّسميّة السّتّ في الأمم المتّحدة لتكون لغة فاعلة، وإحدى اللّغات الحيّة والمؤثّرة في العالم المعاصر؟

ـ ألا يدفعها النّظر إليها بصفتها لغة مقدّسة نحو الجمود، ويجعل التّعاطي معها مسألة صعبة ومعقّدة؟

ـ في الوقت الرّاهن، تحضر اللّغة العربيّة على الإنترنت بقوّة إلى جانب لغات أخرى، لكن بماذا يتميّز حضورها، وما الإضافات التي يشكّلها هذا الحضور؟

التّطوّر يفرض تغييرًا في النّظر إلى تعليم اللّغة العربيّة وتعلّمها. لذلك من واجبنا، نحن المتخصّصين في اللّغة وتعليمها، أن نعمل على تطبيق ما تعلّمناه من أجل إطلاق العربيّة، ووقف مسار التّراجع الّذي تعانيه في مدارسنا، وبين متعلّمينا.

فاللّغة ليست مجرد وسيلة تعبير تنقل الآراء والأفكار فقط، وإنما هي أيضًا طريقة في التّفكير. هناك عمل كبير ينبغي القيام به، ويبدأ بالاعتماد على مناهج تربويّة حديثة تؤمن بالفكر العقلانيّ والحسّ النّقديّ، وبتأسيس مجمع لغويّ جديد تحرّكه قوّة الإبداع، ولا يكون قبرًا للّغة والثّقافة العربيّتين، وبإنشاء أكاديميّات نموذجيّة للتّرجمة، كما هي الحال في أوروبا، تساعد على تكوين المترجم المُصطلحيّ والموسوعيّ القادر على تحسين الاستعمالات اللّغويّة؛ لتتمكّن من احتضان المعارف المُستحدثة. كذلك ينبغي التّركيز على تكوين المناحي التّربويّة عند المتخصّصين في اللّغة العربيّة بدءًا من الجامعة؛ وضرورة الغوص في خصائص المتعلَّم والمتعلِّم، عَنيتُ خصائص العربيّة، وخصائص المُتعلّمين؛ لأنّنا بأمسّ الحاجة إلى معلّمين متمكّنين تربويًا ولغويًا. يتقنون لغة تُصغي إلى التحوّلات الجارية في العالم، وتتفاعل معها؛ لتكون ابنة هذا العصر. لذلك علينا العمل على تشكيل معلّم العربيّة، فهو مهندس عمليّة التّعلّم، والمحفّز لها. أكثر من ذلك،

> **ضرورة امتلاك معلم العربية معرفة خصائص العربية وخصائص المتعلمين**

فإنّ للّغة ثلاثة أدوار في التّعليم هي: نقل المعرفة، ونقد المعرفة، وإنتاج المعرفة، فنقل المادّة التّعلميّة، أي حمل مضمون المادّة وتعليمها بالطّريقة الّتي يشاؤها المعلّم، إضافةً إلى الوظيفة التّواصليّة. وهذه لا يمكن أن تتمَّ إلاّ من خلال اللّغة الفصحى وليس العاميّة. لذلك أرى أنّه لا يحقّ للمعلّم استعمال العاميّة مع تلامذته، خصوصًا أنّ الدّراسات الجادّة تشير إلى أنّ المعلّم يستعمل الفصحى بنسبة 45 بالمئة، والعاميّة بنسبة 55 بالمئة، ما يعني أنّ نسبة العاميّة هي الغالبة بينما تقتصر الفصحى على قراءة النّصوص. وأحد عناصر المشكلة هو أنّ التّعليم الشّفهيّ أضعفُ نشاطٍ نمارسُهُ، بينما هو أهمُّ نشاطٍ إذا فعّلناه، فعندها يُجيد المتعلّم الفصحى والتّعبير بها، فلا نلحظ ضعفًا في مستوى أدائنا في العربيّة. وخلاصة القول هو أنّ مدارسنا باعتمادها الطّرائق العقيمة تساهم في إضعاف العربيّة وتهميشها، لأنّ تعليم اللّغة ممارسة وليس مدارسة فقط.

وينبغي أيضًا ألا نُهمل ما تؤدّي إليه الكتب المدرسيّة من تنفير للمتعلّمين، فعلينا استخدام الفصحى المبسّطة والنّصوص المرتبطة بواقع المتعلّم، والبعيدة عن التقعّر. كما ندعو إلى التّركيز على القواعد الوظيفيّة الّتي تعتمد على ما هو مستعمل، والابتعاد عن كلّ ما هو غير مستعمل. وأن نؤكّد على النّواحي الوظيفيّة للّغة، وعندها سيمارس المتعلّم ما تعلّمه، وتخفّ الوطأة عنه. عندما نعتمد هذا المبدأ نستطيع أن نجعل لغتنا العربيّة سهلة ومتداولة، وبذلك تزول الفجوة بين ما لدينا من قواعد وما نطبّقه.

وعلينا أن ننحو المنحى التّكامليّ والتّرابطي في تعليم لغتنا، وأن نمحو من ذهن المتعلّم أنّ ما يدرسه هو ميادين منفصلة عن الأخرى، وهذا سببه الأساتذة الّذين تعوّدوا تعليم تلامذتهم أنّ كلّ مادّة يدرسونها هي وحدة قائمة ومنفصلة عن سواها. فالمنحى التّكاملي في ربط فروع مادّة اللّغة العربيّة، سماعًا ومحادثة وقراءة وكتابة، وقواعد، وإملاءً، وإنشاءً، ومطالعة، وتعبيرًا، وتفكيرًا من أجل إجادة اللّغة وإتقانها.

إنّ تعليم العربيّة وحدة متكاملة تبدأ من الشّفهي لتصل إلى المكتوب. وإذا كان محتوى المناهج: الكتب المدرسيّة، وغيرها مترابطًا، ونفّذها المعلّم والمتعلّم، وأتقناها نستطيع الوصول إلى ما هو أكثر من الإجادة إلى الإبداع، فترابط مناهج العربيّة مع منظومة حياتنا بشكل عام: اجتماعيًا وسياسيًا وتجاريًا يُفسح المجال لتُعبّر اللّغة عن شؤوننا وشجوننا بشكل أيسر.

يجب أن نُخرج تعليم العربيّة من القوقعة ونربط التعلّم بالحياة، وهذه مسؤوليّة المعلّم الّذي إذا غادر جموده تحرّك المتعلّمون، وأفادوا من لغتهم وطاقاتها الخلاّقة.

***خبير تربويّ**

إضاءة

سماح ادريس: العامي الفصيح

أزمة اللغة العربيّة من أزمة بعضِ المعلمين والمعلمات. هذا ما يقوله سماح ادريس، رئيس تحرير مجلة «الآداب» وكاتب للأطفال. بحسب ادريس، ليس لدى جزء كبير من معلمي العربية ثقافة لغوية واسعة. فهؤلاء يؤنّبون التلامذة بتهمة اقتراف «جرم» العاميّة (كاستخدامهم حطّ وكبّ وغيرها) قبل أن يتحقق المعلمون من أصل الكلمة في الفصحى نفسها، فمراجعة أي قاموس قديم أو معجم حديث ستظهر لهم بالحد الأدنى بأنّ ما توهموه عامياً هو فصيح.

برأيه، التفاصح بترسيخ المباينة المطلقة بين الفصيحة والعامية ينفّرالأطفال من اللغة ويجعلهم منفصمين عن واقعهم، وهم يشعرون كل الوقت بأنهم يسيرون في حقلٍ من الألغام كلّما كتبوا كلمةً بالعربيّة.

والتأنيبُ نفسُه يلقاه، مِن المعلم أو المعلمة، مؤلّفُ كتب الأطفال إن أدخل كلمة أجنبيّة أو عامّيّة في أحد كتبه. يذكر إدريس أنّ إحدى المعلمات اعترضتْ على السماح بإدخال كتبه إلى مكتبةِ مدْرسةٍ لبنانيّة لأنه استخدم كلمةَ «أوكي» على لسان طفلٍ صغير، في قصّةٍ له، هي قصّةُ الكوسى. المعلمة، كما يقول ادريس، كانت تمارس دورَ «السلطة اللغويّة» من دون أدنى نقاش، ومن دون أن تستمعَ إلى مقولاتٍ فنّيّة أسلوبيّةٍ من قبيل أنّ «الواقعيّة» في الفنّ قد تُلزم الكاتبَ بإدراج بعضِ الكلمات والتعابير من خارج اللغة العربيّة، وخصوصًا في الحوار، من دون أن يتسبّبَ ذلك في تشويه أخلاق الأطفال أو انهيارِ صرحِ اللغة العربيّة!

بالنسبة إلى ادريس الهدف الأوحد هو تطوير المخزون اللغوي للطفل، وبالتالي لا يمكن أن نحشر في صفحتين في كتاب مدرسي معتمد لتلميذ عمره 12 سنة كلمات عويصة لا يفقه منها شيئاً مثل: أسبغ، ناب، هراء، أقحاح، الجزية، المضامير، همجيتها، دياجير، وربقة، وهنا يمكن أن نقدم له كلمة جديدة واحدة في الصفحة.

يعرب ادريس عن اعتقاده بأنّ من يمتلك فرصة القراءة بلغة أجنبية سيذهب إليها حتماً لأن مستخدمها أكثر رشاقة وأقل تشنجاً. من هنا المطلوب، كما يقول، تقريب الطفل إلى العمل الأدبي لا أن يصبح الأخير مسطرة يضرب بها، وهذا يستوجب المزيد من المرونة والانفتاح، فاللغة وسيلة وليست هدفاً في ذاته، والإنسان لم يخلق ليخدم اللغة.

وجهة نظر

التبسيط لا التسطيح

فاضل فياض سكرية *

سأحاول، في هذه السطور، التعبير عن تجربتي الطويلة في تعليم لغتنا الأم التي نحبّها. فلغة الضاد تستحق الإهتمام الدائم لأنها لغة جميلة يستعملها مئات الملايين من البشر.

ترتبط اللغة، دائماً، على مر العصور والحضارات والأمم، بما تقدمه للحضارة والمجتمع والانسان من نتاج علمي وفكري وأدبي وفلسفي. فاللغة صورة واقعية ومرآة واضحة عن كل أمة ومجتمع تنشأ فيه. وهي كالكائن الحي تستمر وتقوى بقوة من يرعاها ويتبناها، وتضعف وتمرض حتى الموت إذا افتقدت ذلك الراعي والمسؤول عنها، واللغات القديمة البائدة خير دليل على ذلك.

ولا شك أن لغتنا العربية، في هذا العصر، تواجه الكثير من الصعوبات والتحديات، وانّ ما تقدّمه للحضارة الإنسانيّة لا يتناسب مع تاريخها وعراقتها وعدد الناطقين بها! لذلك أودّ استعراض بعض الافكار والتصورات والحلول الممكنة التي استنتجتها من تجربتي في تعليم هذه اللغة، والتي يمكن توزيعها على مستويين:

أوّلا: على مستوى الوطن العربي:

ـ إنّ أولى الخطوات التي يمكن أن تضع العربيّة على طريق التحديث والتطوير هي مبادرة مجامع اللغة العربية المتعددة للأسف، في وضع استراتيجية لتوحيد المناهج والمفاهيم والمصطلحات الأساسية، مع مراعاة الخصوصيات المحلية للمجتمعات العربية، وخصوصاً معالجة الاستثناءات الكثيرة، وتبسيط بعض قواعد كتابة الهمزة مثلًا، أو توحيد كتابة الحرف في بداية ووسط ونهاية الكلمات أو غيرها، ما يصعّب تعلّم القراءة أو الكتابة بهذه اللغة.

ـ انشاء مراكز ثقافية عربية خارج منظومة الدول العربية، وتأمين الامكانات المادية والكوادر البشرية المؤهلة للقيام بنشر وتوسيع دائرة الإهتمام بهذه اللغة: كترجمة الاعمال الفكرية والادبية الى تلك اللغات، وإقامة دورات مجانية ومدعومة في تلك البلدان، وإعطاء الجوائز بمختلف أشكالها للمشاركين والدارسين في تلك المراكز.

ـ العمل الجاد والمسؤول في الدول العربية لوضع الفلسفات التربوية والتعليمية المناسبة لمناهج تعليم اللغة العربية بوسائل حديثة تواكب متطلبات العصر. إذ تعدّ منهجيّة وأساليب تعليم لغة ما وسيلة أساسيّة لتسهيل تعلّمها، وبعض الصعوبات التي يواجهها المتعلّمون لهذه اللغة تعود إلى طرق تدريسها وليس للغة نفسها.

ثانياً: ومن الإجراءات التي يمكن اعتمادها محليا وفق ظروف وحاجات كل بلد عربي:

ـ إغناء مواد القراءة والقواعد والأدب والبلاغة، وفي كل الصفوف والمراحل التعليمية، بنصوص وشواهد غنية المعاني وعميقة الدلالات ونوعية ومختارة، وأساليب جميلة، وبعيدة عن السطحية والبداهة المغطاة بلباس التبسيط والتسهيل على التلامذة والدارسين. كما اختيار موضوعات ونصوص تجتذب اهتمام المتعلّمين في مختلف المراحل والأعمار.

ـ إعتماد دوائر الإمتحانات، المدرسية والجامعية وفي الصفوف والشهادات والقبول الجامعي، للعلامة اللاغية في مادة اللغة العربية كشرط أساسي للنجاح النهائي. وهذه العملية معتمدة في معظم الدول الناطقة بغير اللغة العربية . (20/10 عشر علامات من عشرين).

ـ عدم تقديم مادة الأدب العربي عند تعليمها وكأنّها مادة للحفظ ، بل تقديم الأدب كمادة محبّبة وجميلة حاملة لأعماق الطلاب ووجدانهم وإنفعالاتهم ووعيهم وأحلامهم، وتاريخهم العريق وثقافتهم الغنيّة.

ـ إلزام مكاتب ومراكز نشر وتوزيع الإعلانات والدعايات باستعمال لغة عربية سليمة وفي كل وسائل الإعلانات المكتوبة والمرئية والمسموعة.

أخيراً، يبقى علينا جميعاً (دولاً، جامعات، مدارس، أساتذة ومربين) أن يقوم كلٌّ من موقعه ومسؤوليته بدوره للحفاظ على وجود وقيمة ودور لغتنا العربية الجميلة، مع التأكيد على أن هذه اللغة ستبقى حيةً ومستمرة بجهود كل المخلصين والحريصين والعاملين والمحبين لها.

***أستاذ تعليم ثانوي.**